

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٦ - سورة الإنسان

وتسمى سورة (الدهر) و (الأمشاج) و (هل أتى) وهى مكية وآيها إحدى وثلاثون .

رَوَى الإمام مسلم^(١) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ : كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة - ألم تنزل السجدة - و - هل أتى على الإنسان .

(١) أخرجه فى : ٧ - كتاب الجمعة ، حديث رقم ٦٤ (طبعنا) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)
« هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا » أى فى ذلك الحين ، بل كان شيئاً منسياً ، نطقته فى الأصلاب . والاستفهام للتقرير .

قال الشهاب : أى الحمل على الإقرار بما دخلت عليه ، والمقرر به من ينكر البعث . وقد علم أنهم يقولون : نعم ، قد مضى دهر طويل للإنسان فيه . فيقال لهم : فالذى أوجدكم بعد أن لم تكونوا ، كيف يمتنع عليه إحيائهم بعد موتهم ؟ والمراد بالإنسان جنس بنى آدم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢] (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)
« إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ » أى ذات أخلاط ، وهى موادها المؤلفة منها . جمع مَشَجٍ أو مشيج . كسبب وأسباب ، ونصير وأنصار . أو مفرد ، كبرمة أعشار (البرمة القدر . وأعشار أى منكسرة كأنها صارت عشر قطع) انتهى « نَبْتَلِيهِ » أى نختبره . والمجئ فى موضع الحال أى خلقناه مبتلين له ، أى مردين ابتلاءه ، لاعتباوسدى « فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا » أى لننظر هل يصرف سمعه وبصره إلى استماع آيات الله والنظر فيها . ولما كان تمام المنة بهما بهبة العقل ، أشار إليه بقوله سبحانه :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣] (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)
« إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ » أى سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك . أى عرفناه وبيناه

ذلك، بأدلة العقل والسمع « إِمَّا شَاكِرًا » أى بالاهتداء والأخذ فيه « وَإِمَّا كَفُورًا » أى بالإعراض عنه . ونصبهما بـ (يكون) مقدرة . أى ليسكون إما شاكرًا وإما كفورًا . أى ليميز شكره من كفره، وطاعته من معصيته. كقوله^(١) (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) . (قال الرازى) قال القفال: وحجاز هذه الكلمة على هذا التأويل قول القائل: قد نصحت لك ، إن شئت فأقبل وإن شئت فاترك . أى فإن شئت فتحذف الفاء . فكذا المعنى (إنا هديناه السبيل) فإما شاكرًا وإما كفورًا . فتحذف الفاء . وقد يحتمل أن يكون ذلك على جهة الوعيد . أى إنا هديناه السبيل فإن شاء فليشكر ، وإن شاء فليشكر . فإنا أعتدنا للكافرين كذا وللشاكرين كذا. كقوله^(٢) (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) انتهى .

الطيفة :

قال فى (النهر) : لما كان الشكر قل من يتصف به قال (شاكرًا) ولما كان الكفر كثيرًا من يتصف به ويكثر وقوعه من الإنسان بخلاف الشكر قال « كَفُورًا » بصيغة المبالغة . انتهى .

وهذا أطف من القول بمراعاة رؤوس الآى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا)

« إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا » أى ليقادوا بها ويستوثق بها منهم شدًا فى الجحيم « وَأَغْلَلًا » أى لتشد فيها أيديهم إلى أعناقهم « وَسَعِيرًا » أى نارا تسمر عليهم فتوقد .

(٢) [١٨ / الكهف / ٢٩] .

(١) [٦٧ / الملك / ٢] .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٥] (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)

[٦] (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا)

« إِنَّ الْأَبْرَارَ » أى الذين برّوا بطاعتهم ربهم فى أداء فرائضه واجتناب معاصيه « يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ » أى خمر ، أطلقت عليها للمجاورة « كَانَ مِزَاجُهَا » أى ما تخرج به « كَافُورًا » قال ابن جرير^(١) : يعنى فى طيب رائحتها كالسكفور . ولما كان الكافور من أطيباهم كان كناية عما يطيب به مما له عرف ذكى « عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » أى يشربونها من منابعها فى روض الجنة ، إثارة مبهجة ، تفنناً فى النعيم . و(عيناً) منصوب بنحو (يؤتون) . والباء فى (بها) بمعنى من . وقوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧] (يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)

« يُوفُونَ بِالْإِذْرِ » استئناف مسوق لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر من النعيم ، مشتمل على نوع تفصيل لما ينبىء عنه اسم الأبرار إجمالاً . كأنه قيل : ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية ؟ فقول : يوفون بما أوجبوه على أنفسهم ، فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم ؟ « وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ » أى عذابه « مُسْتَطِيرًا » منشرًا ظاهراً للغاية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨] (وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)

« وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حُبِّهِ » أى مع حب الطعام ، كقوله^(٢) (حَتَّىٰ تَنْفَقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ) أو على حب الله تعالى ، لما سيأتى من قوله^(٣) (لَوْ جِهَ اللَّهُ) « مِسْكِينًا وَيَتِيمًا »

(١) انظر الصفحة رقم ٢٠٧ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٣ / آل عمران / ٩٢] . (٣) [٧٦ / الإنسان / ٩] .

وَأَسِيرًا « أى مأسوراً من حرب أو مصلحة . وإنما اقتصر على الثلاثة لأنهم من أهم من تجدر الصدقة عليهم . فإن المسكين عاجز عن الاكتساب لما يكفيه . واليتيم مات من يعوله ويكتسب له ، مع نهاية عجزه بصغره . والأسير لا يملك لنفسه نصراً ولا حيلة .
قال فى (الإكمال) : والآية تدل على أن إطعام المشرى مما يتقرب به إلى الله تعالى ،
أى لقوله سبحانه :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩] إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا

« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ » أى قائلين ذلك باسان الحال أو المبال، إزاحة اتوهم المن البطل للصدقة وتوقع المكافأة . أى لا نقصد بإطعامكم إلا ثوابه تعالى والقربة إليه والزلفى عنده . وإطلاق (الوجه) على الذات مجاز مشهور « لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً » أى مكافأة « وَلَا شُكُورًا » أى ثناء ومديحاً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠] إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

« إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا » أى عذاب يوم « عَبُوسًا » أى شديدا مظلما . أو تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه وطول بلائه « قَمْطَرِيرًا » أى شديد العبوسة والكرب . وخوفهم من اليوم كفاية عن عمل ما يؤمنهم فزعه وهوله ، من الصالحات .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١] فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا

[١٢] وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا

[١٣] مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا

«فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ» أى بسبب ما ذكر من خوفهم منه «وَلَقَّعَهُمْ نُزْرَةً» أى فى الوجوه «وَسُرُّوْراً» أى فى القلوب «وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا» أى على طاعة الله واجتناب محارمه والدعوة لسبيله واحتمال الأذى «جَنَّةً وَحَرِيْرًا» أى يلبسونه ويتزيّنون به «مُتَّكِئِينَ فِيْهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ» أى الشرر «لَا يَرَوْنَ فِيْهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا» أى لا حرّاً ولا برداً . من باب ذكر الملزوم وإرادة اللّازم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤] (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا)

[١٥] (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا)

[١٦] (قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا)

«وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا» أى ظلال أشجارها . أى قريبة منهم، مظلة عليهم، زيادة فى نعيمهم «وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا» أى سهلت ثمارها لمتناولها . فلا يرد أيديهم عنها بُعْدٌ ولا شوك . «وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ» جمع كوب ، وهو كوز لاذن له «كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ» قال أبو البقاء : حسن التكرير لما اتصل به من بيان أصلهما . ولولا التكرير لم يحسن أن يكون الأول رأس آية ، لشدة اتصال الصفة بالموصوف «قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا» أى فى أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم . نجاءت كما قدروا . أو قدرها لهم السقاة على قدر ربيهم . لا يزيد ولا ينقص . وهو الذّ للشارب ، لكونه على مقدار حاجته ، لا يفضل عنها ولا يعجز .

قال أبو حيان : أقرب من هذا ما نحوه أبو حاتم . وهو أن أصله قدر ربيهم منها تقديرًا . والرّى العطش ، فحذف المضاف وحرف الجر وأوصل الفعل له بنفسه .

قال الشهاب : وفى كونه أقرب ، نظر . فإنه أكثر تكلفاً . ولكن كل حزب بما لديهم فرحون .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا)

[١٨] (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا)

« وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا » أى ما يشبهه في الطعم . وكانت العرب يستلذون الشراب المزوج به « عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا » وهى شديدة الجرية المناسبة بنوع خاص بهيج . ونصب (عَيْنًا) بنحو (يوتون) أو (ينظرون) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٩] (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا)

« وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ » أى لا يموتون . أو دائم شبابهم لا يتغيرون عن تلك السن . أو مسورون . أو مقرطون . « إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا » أى لحسنهم وكثرتهم في منازلهم ، وانبتاشهم في منازله أما كنهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا)

[٢١] (عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوءٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رِبَاهُهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)

« وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ » أى نظرت في الجنة ، ورميت بطرفك ما أوتى الأبرار « رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا » أى واسعاً لا ينفذه البصر « عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ » وهو ما رق من الحرير « خُضْرٌ » قرى بالرفع صفة لـ (ثِيَابُ) وبالجر لـ (سُنْدُسٍ) « وَإِسْتَبْرَقٌ » وهو ما غلظ من الديباج . وفيه القراءتان ، رفعا وجرا « وَحُلُوءٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رِبَاهُهُمْ شَرَابًا طَهُورًا »

رَبُّهُمْ شَرَّ أَبَا طَهُورًا « أى ليس برجس كخمر الدنيا . أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة ، وتدوسه الأقدام الدنسة ، ولم يجعل في الدنان التى لم يُعَنَّ بتنظيفها . والآية مما يستروح بها في نجاسة الخمر ، لما فيها من التعريض بها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)

« إِنْ هَذَا » أى ماعدة من ثوابهم « كَانَ لَكُمْ جَزَاءً » أى على ما قدمتم من الصالحات « وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا » أى مجازى عليه غير مضىع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٣] (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا)

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا » أى عظيمًا لا يقدر قدره . أى فأمره الحق ووعد الصدق . والقصد تثبيت قلبه صلوات الله عليه ، وشرح صدره وتحقيق أن المنزل وحى . وعدم المبالاة برميهم له بالسحر والكهانة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٤] (فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كَفُورًا)

« فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ » أى من الصدع به ، والتبليغ لآيه ، والعمل بأوامره « وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كَفُورًا » أى ولا تطع فى معصيته تعالى من مشركى مكة ، من ركب الإنم وجاهر بالكفر ، ممن يريدك عن الرجوع عن دعوتك ، بما شئت من مال أو مطلب . و (أو) إما على بابها . أى لا تطع من كان فيه أحد هذين الوصفين ، فالنهي عن اجتماعيه يعلم بالطريق الأولى . وإما بمعنى الواو .

قال الفرّاء : (أو) ههنا بمنزلة الواو . وفي الجحد والاستفهام والجزاء يكون بمعنى (لا) فهذا من ذلك مع الجحد . انتهى .

وإما بمعنى (بل) إضراب إلى وصف هو به أخلق وأجدر . وإما للتخيير في التسمية .
أى من شئت تسميه بالآثم أو الكفور ، لتحقيق مفهومهما فيه .
القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)

[٢٦] (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا)

« وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ » أى بدعائه وتسبيحه والصلاة له « بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ » أى بالتهجد فيه « وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا » أى مقداراً طويلاً ، نصفه أوزيادة عليه . وفى هذه الأوامر ، مع الأمر فى أول (الزمل) وأمثالها ، ما يدل على العناية بقيام الليل والحرص عليه .

ويأتى البحث المتقدم هنا أيضاً ، فى أن الأمر خاص به صلوات الله عليه بناء على أنه للوجوب ، أو يشمل غيره تبعاً وهو للقدر المشترك ، قولان معروفان فى نظيره . والقصد حثه ﷺ أن يستعين فى دعوة قومه والصدع بما أمر به ، بالصبر على أذاهم والصلاة والتسبيح . وقد كثر ذلك فى مواضع من التنزيل كقوله (١) (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) وقوله (٢) (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ) وأمثالها .

(١) [٢ / البقرة / ٤٥] . (٢) [٥٠ / ق / ٣٩ و ٤٠] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (إِنَّ هَآؤُلَآءِ مُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)

« إِنَّ هَآؤُلَآءِ » أى المشركين « يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ » أى اللذات العاجلة ، فيسمعون لها جهدهم ، وإن أهلكوا الحرث والنسل « وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا » أى شديداً ، لثقل حسابه وشدته وعسره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٨] (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ، وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا)

« نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ » أى خلقهم وأعضاء بناهم .

قال الشهاب : الأسر ، معناه ، لفة ، الشد والربط . ويطلق أيضاً على ما يشد ويربط به . ولذا سمى الأسير أسيراً بمعنى مربوط . فشبهت الأعصاب بالحبال المربوط بها ، ليقوى البدن بها . أو لإمسكها للأعضاء . ولذا سموها رباطات أيضاً .

« وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا » أى بإهلاكم والإتيان بآخرين . وهذا محط الترهيب ، وما قبله كالتعليل له .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٩] (إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا)

« إِنَّ هَٰذِهِ » أى السورة ، أو الآيات القريسة « تَذْكِرَةٌ » أى عظة لمن تذكر واتعظ « فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا » أى بالطاعة الموصلة لقربه ، بإصـال السبيل للمقاصد . فهو تمثيل .

